شَاهِدُ قطار

أحسستُ بأنَّ عجلاتِ القطارِ عقاربُ ساعةٍ تُقَرِّبُني من محطتي القادمة. كانتْ سرعتُه معتادةً بالرغم من سوء الخدمة وسوء النظافة وجهاز المكيِّف الذي منح قوَّتَه لعجلات القطار واكتفى بنسماتٍ لا تطردُ رطوبةً ولا تخفِّفُ حرارةً.

وقف القطار في محطَّةٍ فرعيَّةٍ. دخل شابٌّ هادئٌ أنيقٌ في زيِّه الرسميِّ. فاستغربتُ ارتياحي له بالرغم من أنني لا أكنُّ احترامًا كبيرًا للكثيرين مِمَّنْ هُمْ على شاكلتِه أو يرتدون زيَّه. أخرج سلاحه. قلتُ لنفسي:

- المظاهر خدَّاعة، فها هو يتباهى بسلاحه الرسميِّ كأنه ربُّ هذا القطار وربُّ كلِّ شيء.

ظننتُه يحاول أن يقول لنا إنه ذو سلطة. جلس على كرسي فارغ على الجهة الأخرى أمامي. اتكأ بظهره للوراء. نظر إلى السقف. رفع سلاحه فوق عينيه كأنه مفتون به إلى حد الوله. نهض فجأة. دار بعينيه على الوجوه. عاد ليقف بجانب الكرسي الذي كان يجلس عليه. أفرغ الرصاص بسرعة في الجالسين بجواري وأمامي. ورأيته يخرج من القطار في هدوء وأنا أحاول أن أضغط بيدي على كتفي لأوقف النزيف قبل أن أسقط فاقد الوعي.

١٣ يناير ٢٠١١